الإرشاد الأسري

المحاضرة الثانية

57- 81

الفصل الثالث

الأسرة المولدة للمرض

تمهيد:

على الرغم من أن الفهم الشائع بأن العلم الذى يتناول سوء أداء الوظيفة لا يمكن أن يسبق العلم الذى يدرس حسن أداء الوظيفة، بمعنى أن دراسة الأوضاع العادية أو السوية تسبق عادة دراسة الأوضاع غير العادية وغير السوية، إلا أن هذا الوضع غير صحيح بالنسبة لدراسة العلاقات الأسرية، فقد بدأ الاهتمام يتجه إلى دراسة العلاقات غير السوية أو الشاذة قبل أن يتجه إلى دراسة العلاقات العادية، وربما كان ذلك بسبب أن الباحثين كانوا يهتمون بالأسر المتضررة أو المضطربة؛ لأنها هى التى تجلب انتباههم كما تجلب أيضا اهتمام السلطات الأمنية والاجتماعية والقضائية والصحية. وكانت هذه السلطات تطلب أحيانا من الجامعات ومراكز البحوث دراسة مثل هذه الأسر فى سياق دراسة العوامل المرتبطة بالانحراف والجريمة والإدمان والسلوك اللاجتماعى. وقد كانت النتيجة أننا نعرف عن الأسر غير السوية أكثر مما نعرف عن الأسر السوية، كما ترتب عن ذلك أيضا أن تعريف الأسرة السوية **normal family** فى التراث البحثى تعريف سلبى ، بمعنى أن الأسر العادية أو السوية هى الأسرة التى ليس من بين أفرادها من يشكو اضطرابا أو مرضا وهو تعريف يحتاج إلى المراجعة.

ولكننا نستطيع أن نقول أنه كما فى مجال السلوك يحتل أى سلوك نقطة على متصل يمثل أحد طرفيه قطب السواء ويمثل الطرف الآخر قطب اللاسواء ويكون نصيب السلوك من السواء (أو اللاسواء) حسب قرب النقطة التى يشغلها السلوك من قطب السواء أو بعدها عنه ، وكما أن الأفراد بالتالى يشغلون نقاطا على متصل السواء، فإن الأسرة كذلك تشغل نقطة على هذا المتصل. ومثل سواء الأفراد يكون سواء الأسر يتوزع توزيعا اعتداليا، بحيث تتركز معظم الأسر فى المنتصف وتقل عند الأطراف، ولا نستطيع أن نضع خطاً فاصلا محددا بين الأسر التى نعتبرها سوية والأسر التى نعتبرها غير سوية. ويكون نصيب الأسرة من السواء بقدر قربها من قطب السواء، أى من اتصافها بخصائص السواء، والعكس صحيح فالأسرة غير سوية بقدر قربها من قطب اللاسواء واتصافها بخصائص اللاسواء.

وقد رأينا في الفصل السابق أن النسق الأسري يمكن أن يكون منغلقا على ذاته، ذو قواعد جامدة، ويقاوم التغير، ويعزل نفسه عن المعلومات الخارجية لأن حدوده سميكة وصلبة، بينما تكون حدوده الداخلية (بين الأنساق الفرعية) متميعة وذات تفاعلية عالية، الأمر الذي يجعل من هذا النسق نسقا سيئ الأداء dysfunctional System.

وسوء الأداء هنا نتيجة تترتب على مقدار وحجم اللاسواء الذي يتصف به النسق الأسري. ولاسواء الأسرة هنا يعني أن عمليات التفاعل داخل النسق ليست صحيحة وليست سوية. وبالتالي فإن أي عمليات تقويم (إرشاد أو علاج) للأسرة تنصب على تصحيح هذه العمليات وجعلها تسير في الخط الصحيح والسوي.

أما عمليات التفاعل غير السوي فهي موضوع هذا الفصل الذي تكمل به الحديث عن المنطلقات النظرية للإرشاد والعلاج الأسري، بينما ينصب الباب الرابع بفصوله الخمسة على عمليات التقويم والتصحيح (الإرشاد والعلاج الأسري). ونعالج في الباب الثالث. إن شاء الله... بعض التطبيقات للإرشاد والعلاج الأسري في مجال المدرسة وفي مجال العلاقة بين الزوجين.

ونتناول التفاعلات الأسرية في الأسرة المولدة للمرض حسب مستويات هذا التفاعل من حيث درجة الانحراف عن السواء، وما يمكن أن ينتج عن هذا الانحراف من اضطراب في مناخ الأسرة، وبالتالي في اللاسوية المحتملة للأبناء. ففي المستوى الأول سنتحدث عن بعض العمليات التفاعلية غير الصحيحة والتي تشيع مناخا غير سوي في الأسرة. ثم نتحدث في القسم الثاني عن بعض العمليات التفاعلية الأكثر اضطرابا وقربا إلى القطب غير السوي. وفي القسم الثالث نتناول أخطاء الاتصال في الأسرة والذي على أساسه يمكن وصف الأسرة بأنها «أسرة غير سوية» أو «مريضة» أو «مولدة للمرض»، وحسب ما تظهر الدراسات والممارسات معا فإن هناك احتمالا لانحراف أحد أبنائها، وحاجته إلى الخدمات النفسية إرشادا أو علاجا. ونختم الفصل بالحديث ـ في القسم الرابع ـ عن الأنماط الوالدية الشائعة في الأسرة المولدة للمرض حسب ما يظهر في الدراسات والممارسات أيضا ـ وستكون عناوين أقسام هذا الفصل كالآتي:

- المناخ غير السوي في الأسرة.
- بعض العمليات اللاسوية في الأسرة.
- الاتصال الخاطئ في الأسرة المولدة للمرض.
- الأنماط الوالدية في الأسرة المولدة للمرض.

القسم الأول

المناخ غير السوي في الأسرة

أولا، اللا أنسنة

لا أنسنة dehumanizing الأشخاص أو الموضوعات هي تجريدها من صفاتها الإنسانية، ومعاملة بني البشر وكأنهم أدوات أو أشياء، ولذا يترجم المصطلح أحيانا إلى تشيؤ. وعادة ما تنصب اللا أنسنة أو التشيؤ على الأشخاص (الموضوعات) أو على العلاقات بالأشخاص. والمقصود هنا معاملة الشخص كشيء وتجريده من خصائصه الإنسانية والنظر إليه كأداة لتحقيق أهداف وليس كغاية في ذاته. كما أن اللا أنسنة أو التشيؤ تفقد الإنسان كثيرا من الحقوق التي يكتسبها باعتباره إنسانا. وفي تاريخ الطب النفسي يشير مصطلح «التجريد من الإنسانية» (dehumanization) إلى «عملية معاملة المرضى في المؤسسات العقلية القديمة على نحو يجعل حياتهم أقرب إلى حياة الحيوان، وذلك بحرمانهم من الحرية ـ والرعاية ـ والأنشطة الترويحية والثقافية .(جابر، كفافي، ١٩٩٠، ٨٨٢).

وعلى الرغم من أن معيار اللا أنسنة ليس واضحا تماما. وليس محددا بشكل دقيق إلا أنه يستخدم كمعيار للسلوك السوي والشخصية السوية والأسرة السوية في مجال الصحة النفسية والإرشاد والعلاج النفسي. والعلاقة تكون إنسانية حينما يدرك كل طرف الطرف الآخر كما هو، في مقابل العلاقة غير الإنسانية أو المشيِّئة التي يدرك فيها أحد الأطراف الطرف الآخر كشيء أو كوسيلة لتحقيق غاية وليس غاية في حد ذاته، وتجريده من خصائصه وحقوقه كإنسان، أو باعتباره عنصرا في فئة، أو رقما في سلسلة أرقام. وكثيرا ما يكون التملك Possession وراء هذا التوجه في العلاقة. فالشخص الذي ينظر إلى شخص آخر نظرة مشيئة ينظر إليه كشيء يمتلكه، وهو الاتجاه الذي يحكم نظرة كثير من الرجال نحو النساء، أو الأزواج نحو الزوجات، ونظرة الآباء نحو الأبناء(*).

---

* هذه النظرة اللا إنسانية التشيئية تمثل أحيانا في ثقافتنا فهما خاطئا لمفهوم القوامة التي أعطاها الإسلام للزوج على زوجته أو للأب على أبنائه؛ لأن مفهوم القوامة يحفظ للزوجات وللأبناء إنسانيتهم وكرامتهم في ظل المساواة بين بني البشر وعدم التمييز بين شخص وآخر عند الله إلا بالتقوى، ولأن القوامة سلطة اتخاذ القرار ـ بالمشاركة ـ بالنسبة للزوجة، وهي قوامة إشراف وتوجيه ورعاية وحب بالنسبة للأبناء، حتى ينشأوا شخصيات ناضجة سوية.

وكثيرا ما تغطى الروح التملكيـة فى العلاقات ـ وتبرر كذلك ـ بالحب. وهو ما يشرحه علماء النفس أصـحاب التوجه التحليلى النفسى بمفهـوم النرجسية Narcissism حيث يتملك الوالد- أو الوالدة - الابن لأنه يحبه، فهو «يحبه إلى حد التملك» ويشعر كأنه شىء تابع له، بل هو «جزء منه». والنمط الأولى فى التـملك النرجسى الذى يتبناه الوالد نحو ابنه هو أن يعيد الوالد صياغة نفسه وحياته من خلال ابنه، ويسقط ذاته على الابن. فهو إن لم يكن قد استطاع أن يشكل حياته كما يريد فهذه إذن حياة جديدة فليشكلها كما يحب. كما أن إسقاط الوالد حياته على ابنه يعطيه الفرصة فى أن يعجب بصفاته وخصائصه الطفلية Childlike. ويقع الطفل فى هذا الشرك ولا يستطيع منه فكاكا، فهو مقيد بقيود قوية جدا وإن كانت منسوجة من الحب والعاطفة. هذا الطفل لا يعود يشعر ويحس ويفكر لنفسه وإنما لحساب والده أو والدته، وهو يجاهد الآن ليحقق أهدافهما ويفعل ما يريداه وليس ما يريده هو؛ لأنه لم يعد يعرف ما يريد، فهو يعرف فقط ما يريده الوالدان منه أحدهما أو كلاهما. وربما يقضى الطفل حياته كلها يحاول أن يشبع رغبات والديه وأشواقهما وأحلامهما لنفسيهما مع القليل من الوعى الشعورى باستعداداته وطموحاته الشخصية.

ويتحدث إريك فروم عن نوع من الحب العصابى neurotic love ويتضمن أن المحب لا يتعامل مع شخص حبيبه الفعلى والواقعى ولكنه يتعامل معه باعتباره شخصا معينا فى خيال المحب، وعادة ما يسقط هذا الفرد صورة والده أو والدته على محبوبه ويحب والده أو والدته فى محبوبه، ولا غرابة فى ذلك فهو يحب الوالد ـ أو الوالدة ـ وعاش معه طفولة سعيدة وذكريات لا يريد أن ينساها، بل إنه يريد أن يستعيدها مع محبوبه الحالى. ولما كان المحبوب لا يمكن أن يكون صورة من الوالد أو من الوالدة فإن الحب يكتسب الطابع العصابى، وهى من أشهر صور العلاقات الزوجية غير السوية، والتى تكون وراء كثير من الحالات الفاشلة من الزواج، فالسيدة التى فى منتصف العمر ربما تلعب دور الفتاة الصغيرة مع زوجها بسبب أن هذا السلوك كان ناجحا فى جلب السرور إلى قلب والدها عندما كانت طفلة صغيرة. وربما لم تخبر هذه السيدة علاقة مشبعة مع والدها، ولكنها الآن وفى هذه السن تطلب الإشباع الوالدى ولكن من الزوج، وكان الزوج قد تلبس بشبح الوالد. وعلى الزوج ـ لكى يرضى الزوجة ـ أن يقوم بدور والدها وإلا تعرضت علاقتها للمتاعب والصعوبات.

ولأن الأطفال يتعلمون الكثير من سلوكهم خلال اختزان ما شاهدوه وتقليده فيما بعد، فليس من المستغرب أن الألعاب والمناورات التي شاهدها الطفل بين والديه تصبح جزءًا من سلوكه مع زوجته (أو زوجها). «ولذا فالأم التي تلعب دور الشهيدة بنجاح مع زوجها سوف تظهر كشبح في طريق ابنتها عندما تتعامل مع زوجها في المستقبل».

والولد الذي ينخرط في منافسة شديدة مع أشقائه للحصول على انتباه الوالدين قد يتعامل مع أولاده فيما بعد كمنافس لهم في جلب انتباه الزوجة مثلاً، وخاصة إذا كانت هذه الزوجة قد اكتسبت بعض خصائص أو ملامح شبح الأم بالنسبة له. والعواطف التي يخبرها الرجل كوالد جديد ربما تتأثر بشدة بخبرته عندما أجبر ـ وهو طفل ـ أن يشاركه أخ وليد جديد في انتباه الأم ورعايتها، أو ربما يرى زوجته كمنافس له في جلب انتباه وحب أطفاله وجذبهم إلى صفها (وهذا واضح تمامًا خاصة بالنسبة للزواج الفصامي أو الزواج الانقسامي Schismatic marriage كما سنوضح فيما بعد).

ويختزن الأطفال ذكرياتهم الطفولية، والتي تلعب دورًا في حياتهم الراشدة، فالأم التي كانت تحاورت ـ وهي صغيرة ـ بمرارة مع أختها الأكبر ربما تجد نفسها مدفوعة إلى تفضيل ابنتها الصغرى وازدراء الكبرى أو عدم الارتياح لها على الأقل. أو أن الأم التي كانت تشعر ببعض الغيرة الخفية والمكبوتة إزاء أختها الجميلة المفضلة دائمًا وهن أطفالاً تجد نفسها تنمي اتجاهات تمييزية ضد بنتها الجذابة الجميلة وتسخر منها وتحذرها من أن تستخدم جمالها للحصول على انتباه وإعجاب والآخرين وتقبلهم، وما فتئت تشعر بالألم القديم للغيرة وللتمييز ضدها.

ومما لا شك فيه أن مثل هذا التشويه في العلاقات ـ إذا زاد عن درجة معينة ـ قد يرتبط على نحو وثيق بخلق مناخ باثولوجي في الأسرة يتسم بعلاقات مشوهة مشتتة. ويقع بعض الآباء في شرك هذه العلاقات ويتخبطون إلى الدرجة التي قد يختار فيها الوالدان ـ كما يقول «فوجل وبل» أحد أبنائهما ويضطهدانه بشكل منتظم لمجرد أنه يشبه من الناحية الجسمية بعض الأقارب المكروهين (Vogel& Bell, 1960, 144).
وتقول «إيفلين سيبرج» وفي ممارستي الخاصة كان لي فرصة معالجة رجل يضرب زوجته ويبلغ من العمر ٣٦ عامًا وهو متزوج من سيدة جميلة ورقيقة، وهي لا تفعل شيئًا يستحق هذا العقاب من الزوج. وفي سياق العلاج ظهر واضحًا أن هذا الرجل عندما يشرب الكحول يبدأ في رؤية زوجته الحالية في صورة زوجته السابقة التي كانت ذهانية، والتي عانى معها الكثير (Sieburg 1985, 99).

ومن الحالات التى تخلق علاقات مشوهة أو كسيحة Crippling العلاقة المبنية التى تترتب على وضع ينسجه الشخص فى خياله. وبالتالى تتوتر العلاقة لأنها ليست قائمة على واقع فعلى وإنما على خيال ووهم. مثل الزوج الذى يتطلب من زوجته أن تقوم بدور الأم فى كل تعاملاتها معه، وهى بالطبع لن تستطيع أن تكون أمه مهما حاولت. أو الزوج الذى يريد أن يرى زوجته وكأنها إحدى النجمات السينمائية أو التليفزيونية فى مظهرها وملبسها وزينتها. أو الزوجة التى تريد أن يعاملها زوجها كما كان يعاملها فى فترة الخطوبة.

ثانياً: الحب المصطنع للطفل

يحدث فى بعض الأحيان أن يكون الشاب المتقدم على الزواج ليس ناضجاً من الناحية الانفعالية بدرجة كافية، ويعمد إلى إخفاء ضعفه وجوانب نقصه وعيوبه، ويرى أن من المناسب ألا يكشف عنها لخطيبته ـ هذا إذا كان على علم ووعى شعورى بها ـ بل ويعتقد أنه سيكمل شخصيته مع الزواج وعندما يكوّن مع خطيبته أسرة واحدة. وقد تفكر الخطيبة نفس التفكير ـ إذا كانت مثله ليست آمنة بدرجة كافية ولديها قدر كبير من الاعتمادية الطفلية ـ إذ تحاول إخفاء عيوبها عن خطيبها وتظن أنه شخص قوى يمكن الاعتماد عليه، وأنها فى إطار الزواج من هذا الشاب الذى سيكمل نقائصها ستعيش حياة سعيدة هانئة مستقرة.

ولكن عندما يتزوج الشابان سرعان ما يكتشف كل منهما عيوب الآخر ولا يجد عند صاحبه ما كان يتوقعه. وقد كشف بالفعل كل منهما الآخر وظهر أنه اعتمد على مساعدة شخص يحتاج هو إلى المساعدة، مما سنفصل فيه القول فيما بعد وخاصة فى الفصل الخاص بالإرشاد والعلاج الزواجى.

ويؤلف هذا الزوجان ثنائياً لا سوياً، ويأخذ لاسوائه أشكالاً عديدة، ليس هنا مجال ذكرها. ولكن يهمنا أن نقول أن هذين الزوجين عندما ينجبان يجدان فى الطفل فرصة للتعبير عن مشاعرهما المتناقضة؛ ونظراً لأن كثيراً من حاجاتهما النفسية غير مشبعة واتزانها النفسى ليس مكتملاً، فإن الطفل يتخذ وسيلة لتحقيق ما ينقصهما. ومن أهم ما يتعرض له الطفل فى ظل هذين الوالدين أنهما يمنحاه نمطاً من الحب يكتشف الطفل فى معظم الحالات ـ أنه حب مصطنع أو زائف أو مشروط وغير نقى.

وعادة ما يطلب هذان الوالدان من ابنهما الكثير من المطالب، فهما يطلبان منه أن يكون متحملا للمسئولية، وقد يحملانه من المسئولية أكثر مما يحتمل، ومما أعد لتحمله، ومما لا يتفق مع سنه. كما يطلبان منه الطاعة الكاملة والالتزام التام بقواعد الأسرة وتوجيهاتها بدون التفكير في توجيه أي انتقاد لأي جانب من جوانب حياة الأسرة باعتبار أن القائم من الأوضاع هو أفضل الأشياء للأسرة ولأعضائها. في الوقت الذي لا يكاد يكون فيه مطالب خاصة للطفل، لأن مطالبه هي مطالب الوالدين وقد استدخلها، وأصبح يعمل لتحقيق ما يريدانه على أنه مطالبه الشخصية وأهدافه الخاصة.

ومما لا شك فيه أن الطفل الذي لا يجد الحب يقاسي بشدة، فهذا الطفل عندما يذكر أمامه من الوالدين أو من الآخرين أنه موضوع للحب يكون عليه عبئا مزدوجا يحمله على كاهله، ليس فقط لأنه يشعر أن والديه لا يحبانه الحب الخالص، ولكن لأن عليه أن يصدق ما يقولاه وهو غير مقتنع به تماما. وإذن فعليه أن يعاني من ازدواجية الإحساس والشعور، وينتهي إلى موقف الازدواج أو الرابطة المزدوجة Double Bind مما ستحدث عنه بالتفصيل في القسم الثالث من هذا الفصل.

وإذا ما أدرك الطفل بدقة وعلى نحو صحيح الموقف الحقيقي لمشاعر والديه وخاصة الأم وتوجه بسؤال مباشر لها: «لماذا لا تحبينني يا أمي؟» فإنها تؤكد له مباشرة وشيء من الدهشة الممزوجة بالاستنكار: «بالطبع أنني أحبك.. ماذا الذي يجعلك تقول مثل هذا الكلام السخيف.. إنه من صنع خيالك فقط» (تحدي طبيعة إحساسات الطفل ومدركاته، وتزييف الواقع). وربما واجهته الأم وهي تبكي: «كيف تقول مثل هذا الكلام الذي يجرح شعور أمك التي تحبك.. وكيف تفكر أنني يمكن ألا أحبك بعد كل الذي فعلته من أجلك (زرع الإحساس بالذنب)، وعلى هذا المنوال تستمر الوالدة في توجيه مثل هذه العبارات التي تهدف في النهاية إلى تشكيك الطفل فيما يحسه ويراه ويخبره وفي زرع الإحساس بالذنب داخله لمجرد توجيه مثل هذا السؤال.

وسلوك الأم هنا يمثل نمطا من الاتصال المنحرف أطلق عليه «لانج» (Laing) بحق التزييف أو التعمية mystification التي توفر القناع للمشاعر الحقيقة لصالح المشاعر المصطنعة، بينما يكون الدافع الحقيقي هو الاستغلال. ويكون عاقبة الطفل الذي يتجرأ على مثل توجيه هذا السؤال سيئة. وهو سيعاقب على نحو ما؛ لأنه حاول بذلك أن يكشف ما لا يريد الآباء له أن ينكشف حتى في شعورهما. وستحدث بالتفصيل عن موقف التزييف والتعمية في القسم القادم لأنه نمط من العوامل المولدة للمرض غالبا ما يوجد في الأسرة التي بها مريض.

وفى بعض الحالات يكون الطفل الذى يقدم له حب والدى مصطنع قادرا على اكتشاف أن هذا الحب ليس خالصا لشخصه، وأنه حب مشروط بشروط الطاعة الكاملة وإلغاء إرادته الخاصة وتصحيح أخطاء وانحرافات الآخرين. وفى أغلب الأحوال فإن الطفل يقبل بهذا الحب رغم علمه بأنه حب مصطنع وكاذب فى حقيقته ويتظاهر بأنه سعيد به. وهذا الطفل يتعلم أن يتصنع وأن يداهن وأن يخفى مشاعره بل وأن يظهر خلاق ما يبطن، ويتقن هذا الأسلوب المراوغ، وبعبارات « جوليس هنرى» يحصل هذا الطفل على شهادة تخرج فى الكذب الأسود، وسوف يستخدم مهاراته فى خداع العالم وسيكون خطرا على الجميع حتى على الآخرين الذين يحبهم (Henery 1973,107).

أما الطفل الذى لا يستطيع أن «يبلع» حب والديه المصطنع، والذى يكون واعيا بالتناقض الذى يحفل به هذا الحب، وبالتالى يكون على بينة من الكراهية أو التسلط والاستغلال المتضمن فى هذا الحب فإنه يكون جاهزا ومستعدا للمجاهرة – فى بعض المواقف على الأقل – برأيه فى الأمور ورؤيته لها. وهو ما يزعج الوالدان إلى أقصى درجة، ويسبب لهما حرجا شديدا للكشف عن طبيعة حبهما غير الخالص له. وتتوتر العلاقات بين الوالدين وهذا الابن إلى درجة خطيرة، ويتأثر مناخ الأسرة بشدة بهذه المواجهة الحادة، ويزداد ضيق الآباء وغيظهما من هذا الابن؛ لأن وجود هذا الابن غير المصدق لمشاعر الوالدية والمتشكك فى عواطفهما ونواياهما فيه تذكير دائم بحقيقة مشاعرهما المختلطة نحو الابن والتى لا يريدان تبينها على حقيقتها، وفيه تمزيق لأسطورة الأسرة والعواطف النبيلة المتبادلة التى لا يمل الوالدان من تكرارها.

ويذكر «جوليس هنرى» حالة أسرة كانت تعالج لديه. ويقول: إن هذه الأسرة خاصة الأم كانت تقلل من قدر أبنائها بل وتعيبهم، وكانت الإهانة الأكبر تنصب على رأس أحد الأبناء الذى حددته الأسرة باعتباره المريض. وكانت تحاول معاملته معاملة طيبة أمامى فى الجلسات. ولكن الأب كان يفصح فى كلامه عن إشارات توحى بأن الأم تعامله معاملة سيئة وأنها تفضل عليه أخيه الأصغر، وقد دهشت الأم جدا لأن الابن يعرف ذلك وكانت تظن أنه يدرك فقط ما تقوله له لا ما تفعله أو تعكسه مشاعرها نحوه. وكانت جلسات العلاج فرصة ليقول الطفل كل ما يدركه ويحسه نحو والديه، وهو غير الذى كانت الأم تظنه عن ابنها. وقد انزعجت الأم والأب بشدة مما قاله الابن حتى كادا أن يفصحا عن رغبتهما فى التخلص من هذا الابن (Henery, 1973, 181).

ومن وجهة النظر النسقية فإن الطفل الذى يتعلم أن يشارك فى صنع المشاعر وادعائها يصبح جزءا من ميكانزمات التوازن الأسرى لبقاء النسق فى حال غير صحية. أما الطفل الذى لا ينطلى عليه التصنع والكذب فإنه يمثل تهديدا لا يحتمل ويسبب توترات وعدم توازن مستمرين للنسق، وتكون استجابة النسق الأسرى لمثل هذا الطفل هى محاولة التقليل من قيمته وقيمة ما يقول ويفعل، والتشكيك فى نواياه وتوجهاته نحو الأسرة وتوجهاته الأخلاقية بصفة عامة. بل إن الأسرة تعمل على إزاحة هذا الطفل بشكل أو بآخر مادام قد أصبح عنصرا مقلقا «للتوازن غير الصحى» للأسرة. مع ملاحظة أن ما هو مناسب ووظيفى بالنسبة للنسق الأسرى ككل ربما يكون له تأثيرات ضارة لأحد الأعضاء فى النسق.

ثالثا: الأسرة المدمجة

وهناك نمط أو صيغة غير صحية أيضا فى العلاقات تذكر كثيرا فى الأدب السيكولوجى الخاص بالأسرة المولّدة للمرض وهى عمليات الدمج merger أو الانصهار fusion، وهي حال تحدث كثيرا بين الثنائى الزوجى وأحيانا ما تشمل الأسرة كلها.

فالزوجان المندمجان يتبنيان اتجاها تعلقيا تملكيا كل منهما نحو الآخر. ويتضمن هذا الاتجاه رسالة يرسلها كل طرف للطرف الآخر: «إننى لا أستطيع أن أستغنى عنك.. وأننى لا شىء بدونك» بل إن كل منهما يميل إلى إدانة أى محاولة يقوم بها أى من الطرفين للانفصال أو الاستقلال عن الطرف الآخر. ويسلك كل منهما وكأنه يعرف ما يدور فى رأس الآخر وماذا سيكون حديثه، حتى أن كل طرف يستطيع أن يكمل ما بدأه الطرف الآخر من حديث، بل إنه يتمم العبارة بنفس ألفاظها لشيوع التعبيرات النمطية «والكليشيهات» فى أحاديثهما. وكثيرا ما يتخذ الاتصال بينهما شكل محاولة كل طرف إثبات أن الطرف الآخر مسئول عن فشله وعن خيبة أمله وعن عدم إشباع حاجاته. وتكون حالة الاندماج ظاهرة بين الشخصين إذا ما افتقد أحدهما الآخر بالانفصال الطويل أو الكامل أو الوفاة. ولا يشعر الطرف الآخر أو المتبقى بمشاعر الفقدان والأسى الطبيعية فقط ولكنه يشعر أيضا أنه قد «تفكك» أو «أن شيئا ما ينقصه» ؛ وذلك لأن إحساسه بذاته قد انصهر مع الشريك المفقود.

وفى حالة الاندماج بين الطفل وأحد الوالدين فإنهما يكونان نسقا فرعيا «طفل

ــ والد» أو «طفل ــ والدة». ويسعى هذا النسق الفرعى ،وخاصة من جانب الطرف الأقوى وهو الوالد لإبقاء النسق على حالة، بينما يكون من الطبيعى أن يكبر الطفل وينمو، لأنه مع النماء تكون الرغبة فى الاستقلال والانفصال عن الوالد وتكوين الشخصية المستقلة، وهو ما يمثل تهديدا للنسق الفرعى، ولذا فإن الوالد يقاوم هذا الاتجاه بكل ما أوتى من قوة، ويجاهد ليمنع نمو الطفل فى اتجاه الاستقلال والانفصال، بل يحاول تشكيل العلاقة بينهما على نحو يشد وثاق الطفل ويقيده إلى والده. ويستغل الوالد (أو الوالدة) بالأسرة كلها ليمنع تحرر الطفل من العلاقة الوالدية. وغالبا ما تفشل كل محاولات الطفل المتكررة للانطلاق وييأس ويستكين لأحضان العلاقة الوالدية، وقد تنشأ علاقة تكافلية Symbiotic relation مما سنتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد.

وقد ترتبط كل الأسرة بشكل اندماجى، وفى هذه الحال تكون الأسر مصمتة، ولو حاول أحد أفرادها أن ينفصل عنها أو يخرج على هذا الاتحاد الوثيق فإن الأسرة كلها تقف ضده وتحاربه؛ لأن هذا الانفصال يهدد النسق الكلى. والأسوأ فى هذا الموقف أن الأسرة المصمتة تكاد تخنق أبناءها ولا تسمح لهم بالتنفس واستنشاق هواء مختلف عن هواء الأسرة الراكد من العزلة والوحدة. كما أن الأسرة عندما تحارب نزعة أى فرد فيها للتحرر فإنهم بذلك ينكرون حقه فى أن ينمو وأن يكون مستقلا وأن يكون متفردا.

ويفترض أن كل تفاعل بين الأشخاص له مكونان: الفاعل Subject (الشخص الذى يؤدى الفعل) والمفعول به Object (الشخص الذى يقع عليه الفعل). ويمكن وضع هذه الصيغة بطريقة أخرى وهى أن الفاعل يقوم بالفعل والمفعول يستجيب، والفاعل مستقل والمفعول به معتمد. وقد كانت هناك جهود نظرية عميقة تناولت طرق التفاعل بين هذين الطرفين، وكان من رواد هذا الجهد «إيفان بوزورمينى ــ ناجى» (Ivon Bos-zormenyi – Nagi)، «جيمس فرامو» (Jamis Framo) وفى الأسرة المدمجة يكون من الصعب أن تتعرف فى أى لحظة على من يسلك كفاعل ومن يسلك كمفعول به؛ لأن الأدوار تختلط، وكل عضو يعرف استجابته كما يعرف استجابة الآخر حسب دوره، وكأنهم فى مسرحية أو تمثيلية يقومون بتنفيذ سيناريو متفق عليه.

والأسرة المدمجة أو المصمتة نسق مغلق، وهذا يعنى أن هناك جهودا مبذولة لأن

تبقى الأمور كما هى، ولكى لا يحدث التغير، ولكى يتم تجنب الاختلافات والفروق بين الأعضاء. وقد يتطلب الحفاظ على الوضع إنكار أن تغيرا ما قد حدث أو أن اختلافًا قد وقع. وبملاحظة هذه الأسر بعناية يتضح أن لها محرماتها مثل مناقشة الأشخاص الفاعلين ذوى النفوذ فى الأسرة، ومثل التعليق الإيجابى على سلوك العضو «المنحرف» أو «المنشق» الذى ينبغى أن تحاول الأسرة كلها أن تنبذه وأن تعيده إلى حظيرتها. وفى مثل هذه الأسر يعامل الاختلاف باعتباره أمرا غير شرعى.

والأسرة المصمتة أيضا مغلقة أمام التأثير الخارجى باعتبارها نسقا مغلقا؛ لأن هذا التأثير يهدد معية الأسرة واتحادها Togetherness من حيث إنه قد يأتى بمعلومات جديدة لا يعرفون محتواها، أو ما قد يمكن أن يترتب عليها، فقد تكون «معلومات خطيرة أو ضارة». وتتمسك الأسر بوحدتها واندماجها، بل إن كل من يقترب منها تحاول أن تضمه إلى كيانها إذا كان من الضرورى الاحتكاك به والتعامل معه. «حتى أن المعالج الذى يحاول أن يتعامل مع هذه الأسرة ينبغى أن يحذر محاولات الأسرة لجعله جزءا من هذا الاندماج» (Sieburg, 1985, 108).

رابعا: جمود الأدوار فى الأسرة

فى بعض الأسر تكون أدوار الفاعل والمفعول به التى أشرنا إليها متمايزة بوضوح ولكنها غير تبادلية، بمعنى أن الشخص الذى يقوم بدور الفاعل يظل يمارس سلوك هذا الدور، وكذلك الشخص الذى يقوم بدور المفعول به، ولا يسمح خاصة لصاحب دور المفعول به أن يكون فاعلا أبدا؛ لأن الشخص «الفاعل» يمنعه من ذلك. فالأدوار محدودة وجامدة، والشخص الذى يقوم بدور المفعول به يبدو وكأنه جزء من عملية إشباع رغبات الشخص الآخر الداخلية وحاجاته النفسية، وصاحب دور المفعول به ينبغى أن يكون على استعداد لعمل أى شىء يرضى الطرف الآخر، أو القيام بأى سلوك يطلب منه وكأنه بهذه الذات غير المكتملة يكمل ذات الآخر ويدعمها. وفى ضوء جمود الأدوار فى الأسرة فإنه لا يسمح للطرف المفعول به أن ينمو مطلقا، وهو بذلك لا يسلك على النحو الذى يشبع فيه حاجاته الخاصة، لأنه يستخدم دائما لإشباع حاجات الأنا عند الشخص الآخر، وكلما اندمج بدرجة أكبر وأكبر فى أن يكون مفعولا به فإنه ينال مديح النسق ولكن حرية اختيار السلوك الحر التلقائى تضيق أمامه، وتضيق معها فرص النمو والارتقاء بدرجة متساوية.

والعادة أن يقوم أحد الوالدين بدور الفاعل، بينما يقوم أحد الأطفال بدور المفعول

به. وعلى الطفل أن يبذل كل جهد ليؤدى هذا الدور بإخلاص ليبقى «الطفل النموذجى» عند والديه. وحتى فى هذا الدور فإنه ينتظر الأوامر لينفذ ويطيع، فهو لا يستطيع أن يكون مبادرا حتى فى حدود هذا الدور الموصوف والمعين. وإذا ما ثار الطفل ضد دور المفعول به المحدد فإن العلاقة بينه وبين هذا الوالد ـ وربما النسق بكامله ـ تتوتر، وتنكص إلى صورة من التجاهل والإنكار والتى يهمل فيها سلوك الطفل الحقيقى، ويعامل الطفل وكأن «الخطأ الذى ارتكبه» لم يحدث وسيتم التغاضى عنه. وتمارس الأدوار هنا طبقا للتوقعات المنتظرة؛ لأن النسق لا يتحمل ولا يتوقع الخروج على قواعده، مما يوقع الطفل فى حيرة كبيرة.

وتتباين الوسائل والأساليب السلوكية التى من خلالها يربط شخص ما شخصا آخر فى دور المفعول به، فالأطفال بصفة خاصة معرضين إلى ضغوط الحاجات الوالدية سواء كانت منطوقة أو غير منطوقة، شعورية كانت أم غير شعورية. حتى أن الآباء الذين لا يتحملون المسئولية والذين يسلكون على نحو نيئ كالأطفال هم الذين يعملون على ربط الطفل بالسلوك المسئول، والذى يتضمن قدرا من المسئولية قبل أن يكون الطفل مستعدا انفعاليا لأن يقوم به. ويتبع الوالدان كل السبل حتى العنيف منها أحيانا حتى يتبنى الابن دور المفعول به، وهو دور متزن وموضوعى بدلا من «الأدوار الطفلية التى لم تعد تناسبه». ويجد طفل الوالدين المضطربين أن عليه أن يتحمل مسئولية كبيرة، وكأنه مطلوب منه تصحيح حياة والديه القائمة على تفاعل خاطئ، أو إنه بات عليه أن ينقذ زواجهما المهدد بالانهيار. وإذا ما فشلت جهود الطفل ـ وكثيرا ما تفشل ـ فإنه يتحمل ـ عادة بشكل لا شعورى ـ الإحساس بالذنب بسبب تقصيره أو فشله فى عمل ما طلب منه، وتتركه الوالدين يعانيان التعاسة والصراع.

ولن نجد جانبا من جوانب النسق الأسرى أكثر وضوحا من الأمر الخاص بعلاقات الفاعل ـ المفعول به التكميلية فى تقديم الدليل الدليل على التحكم أو السيطرة من جانب النسق فى كل أعضائه. وتكميل الأدوار وظيفة أساسية لتوازن النسق، وكثيرا ما يكون الحفاظ على هذا التوازن فى الأسرة المختلة وظيفيا محبطا للأفراد من أعضاء النسق. وقد ذكرنا من قبل أنه فى سبيل احتفاظ النسق بتوازنه يضحى بصالح بعض أعضائه. يقابل هذا أنه إذا قاوم أو تردد أى من الأعضاء فى قبول الدور المكمل المطلوب منه فإن ضغوطا شديدة تمارس عليه لكى يسلك على نحو يحقق فيه أهداف النسق فى البقاء متوازنا. أن الضغط للإبقاء على التوازن الحيوى للأسرة يتم على نحو لا إرادى

وبدرجة كبيرة على المستوى اللاشعورى من جانب الأفراد أعضاء النسق، كما يلاحظ «سبيجل» (Spigel) الذى يقول : «إن الملاحظ المستمر للأسرة يكون لديه انطباع معاكس، وهو أن الكثير مما يحدث فى سلوك الأسرة ليس تحت سيطرة أحد، أو حتى مجموعة من الأفراد، ولكنه نتيجة لعمليات معقدة فيما وراء طاقة أى فرد متضمن فى العملية. وهناك شىء ما فى الجماعة نفسها يقوم بدور الميكانزمات الموجهة، وينتهى الأمر إلى نتائج لا يتوقعها أحد أو يرغبها» (Spigel, 1957, 1).

القسم الثانى

بعض العمليات اللاسوية فى الأسرة

وفى هذا القسم سنتناول بعض العمليات الأكثر مرضية والأقرب إلى قطب اللاسواء، وبالتالى فهى الأقدر على تسميم مناخ العلاقات فى الأسرة وجعلها أسرة لاسوية، وبذلك يزيد الاحتمال فى أن يظهر اللاسواء فى أحد أبنائها، مما يجعلها «من نمط الأسرة المولدة للمرض» (Pathogenic family pattern). والعمليات التى سنتناولها فى هذا القسم هى: التبادلية الكاذبة، التعمية والتزييف، المثلث غير السوى، اتخاذ كبش الفداء، القيم الشخصية المنحرفة، إضافة إلى بعض العمليات غير السوية الأخرى.

ونحب أن ننبه إلى أمر هام، وهو أن هذه العمليات قد لوحظت وكتب عنها الكثير من الباحثين والمعالجين كما وجدوها فى الكثير من الأسر التى بها مرضى. ومع ذلك فهى ما زالت فى مجملها نظريات أو فروض تحتاج إلى المزيد من الدراسة والبحث. وحتى فى حال ثبوت وجود التفاعل الأسرى الخاطئ فإنه من الضرورى تحديد صور هذا التفاعل الخاطئ وتحديد النتائج التى تترتب عليه فيما يتعلق بصحة أفراد الأسرة خاصة الأبناء، لأنه لازال هناك خلط وتداخل فى صور التفاعل وفى السلوك غير السوى الذى يظهر على الأبناء. ومع الاعتراف بالطبيعة المتشابكة لمثل هذه الظواهر الإنسانية الاجتماعية فإن التحديد والتمييز إلى أقصى درجة ممكنة أمر مطلوب وضرورى حتى تصاغ العلاقات بين مناخ الأسرة وتفاعلاتها من ناحية وسلوك أعضاء الأسرة من ناحية أخرى أقرب صياغة ممكنة إلى الصياغات الدقيقة للمبادئ والقوانين العلمية.

أولا، التبادلية الكاذبة

التبادلية mutuality مفهوم يشير إلى القدرة على تأكيد الذات وتقويتها، وتأكيد وتقوية الآخرين. وهذه التبادلية سمة تميز النضج. ويقصد بالمصطلح فى التربية الشعور بالانتماء إلى جماعة، والتعاون معها فى العمل والمشاركة فى الخبرة" (جابر، كفافى، ١٩٩٢، ٨: ٢٣٠)، أى أن التبادلية سمه إيجابية تميز الناضجين والأسوياء فى تعاملاتهم.

أما التبادلية الكاذبة pseudomutuality فهو مصطلح أحدث، وقد ظهر فى سياق المصطلحات الجديدة التى ولدت فى أحضان البحوث التى تناولت الجوانب الاجتماعية والثقافية فى الفصام، وخاصة الجوانب الأسرية. ويشير المصطلح معجميا إلى "العلاقة العائلية التى لها مظهر سطحى قوامه تبادل العواطف والصراحة والتفاهم على الرغم من أن العلاقات فى حقيقتها جافة وجامدة وغير شخصية" (جابر، كفافى، ١٩٩٣، ٣٠٣٣). وتلخص التبادلية الكاذبة بالفعل قدرا كبيرا من التفاعل الخاطئ والمنحرف فى الأسرة المولّدة للمرض. ولذا يضعها الباحثون فى أسر الفصاميين فى قائمة العمليات التفاعلية غير السوية التى تميز الأسرة المنتجة للفصامى. وكانت موضوع الدراسة الأساسية لفريق البحث الذى قاده ليمان واينى (Lyman Wynne) حيث يروا أنها صورة من العلاقات العائلية القائمة على الكذب، والتى تمثل حلولا مرضية ومضطربة لمعضلة الانفصال – الاتصال، أو لمشكلة التوازن بين الحاجات الاتصالية والحاجات الاستقلالية والتى أشرنا إليها فى الفصل الثانى.

وقد حدد فريق واينى من البداية ثلاثة حلول قائمة لإمكانية تحقيق العلاقة أو الرابطة relatedness من ناحية وتحقيق الهوية الفردية individual identity من ناحية أخرى وهى: التبادلية، واللاتبادلية أو عدم التبادلية non –mutuality، والتبادلية الكاذبة (Wynne, L. Ryckoff, L.Day, J Hirsch, S . 1958-205-220).

فالتبادلية لديهم تعنى مصطلحا عاما يشير إلى نوع من العلاقة الذى ينجح فى تصوير وتجسيد الفروق الصحية بين الأعضاء (فى تجمع ما كالنسق مثلا)، على أن تتضمن هذه العلاقة التباينات والاختلافات التى توجد بين الأعضاء، ولكن العلاقة تسمح لكل منهم أن يكمّل الآخر على نحو تبادلى فيما يسمونه التكميلية العلاقية Relational Complementarily إضافة إلى أن كلا منهم يستطيع أن يحقق هويته الشخصية.

أما عدم التبادلية أو اللاتبادلية فهى علاقة وظيفية مرتبطة بالدور، وربما تكون فعالة

إلى حد كبير فى إنجاز عمل ما، أو جعله يتم على النحو الأفضل مثل مندوب المبيعات الذى يعقد صفقة ناجحة مع عميل، فقد يتبادلان التحية والسلام بحرارة ويتحدثان لفترة، ولكن علاقتهما لا تدوم فقد قامت لهدف محدد وانتهت بتحقيقه، ولا تسمح بنشأة مشاعر الألفة الدائمة بينهما. وتتضمن الأسرة مواقف التبادلية كما تتضمن مواقف اللاتبادلية. فمواقف التبادلية تظهر فى علاقات الأب السوية بأبنائه عندما يتبادلان المشاعر الصادقة والتى يثق كل منهما فى وجودها لديه ولدى الطرف الآخر، وهى المواقف التى يتم من خلالها إشباع الحاجة إلى الألفة. أما مواقف اللاتبادلية فإنها لا تشبع الحاجة إلى الألفة، بل إنها تستخدم أحياناً كدفاع ضد الألفة أو فى المواقف التى يريد أحد الأطراف ألا تتضمن الألفة مثل الوالد الذى يتكلم مع ابنه فى الأمور الرياضية فإذا سأله الابن سؤالاً عن النواحى الجنسية ولا يريد الإجابة عنه، فإنه لا يجيب ويعود بالحديث إلى الأمور الرياضية، أى من الموضوع المرتبط بالألفة إلى الموضوع الذى لا يرتبط بها.

وأما التبادلية الكاذبة فهى نوعية من العلاقات تخلق حالة من الألفة وإن كانت ألفة كاذبة غير أصيلة. وهذه الحالة من الألفة الكاذبة تتم على حساب النمو الشخصى للأعضاء وعلى حساب هويتهم المستقلة. وعادة ما تكون الأسرة ذات التبادلية الكاذبة نسقاً منغلقاً بحدود سميكة لا منافذ فيها، مكتفياً بنفسه ويخشى من تأثير المعلومات الخارجية، كما أن هذه الأسرة أقرب إلى أن تكون مندمجة لا يشعر أفرادها بحرية الحركة والاستقلال فى الرأى والمشاعر، وشأنها فى ذلك شأن كل الأنساق المنغلقة تبحث عن كل ما يحفظ توازنها كما هو بدون تغيير، معتمدة على تبادلية كاذبة قاعدتها أسطورة الأسرة (Family myth).

وأسطورة الأسطورة أحد دعائم الأسر غير السوية التى تعمد إلى إشاعة صورة نموذجية للأسرة ولقواعدها وقوانينها المقدسة التى لا ينبغى أن يمسها أحد، والتى يشعر فى ظلها أفراد الأسرة بالسعادة وتبادل الحب والمشاعر الأنساق النبيلة. ولكنها تكون فى معظم الحالات ستاراً للتفاعلات الخاطئة وقطع للطريق على أى عضو فى الأسرة يفكر فى أن يحتج أو يغير ما يراه وما يلمسه فى الأسرة.

وتتجلى أسطورة الأسرة فى الأسرة التى هجرها الزوج بلا سبب واضح، ولكن

الزوجة ظلت تصر على أن زوجها يكرس نفسه لخدمة أسرته ويتفانى فى ذلك، وتحاول أن تغرس هذه المعانى فى نفوس أبنائها. وكان الزوج يتصل بهم أو يكتب إليهم من وقت لآخر مؤكدا أنه سيأتى فى الأسبوع القادم، ولكن هذا الأسبوع لم يأت لمدة خمسة عشر عاما. والأم على دعواها قائمة، مقتنعة بها وتحاول إقناع أولادها. وهكذا يمكن أن تمضى أسطورة الأسرة بلا تحد على الرغم من كل الشواهد والدلائل الواضحة التى تؤكد عكس مضمون الأسطورة.

ومن مكونات أسطورة الأسرة الاقتناع بأن كل أفراد الأسرة سعداء ومنسجمين طوال الوقت. وتتخذ هذه القناعة مبررا إضافيا لعدم عمل أى شىء يغير من واقع الأسرة. فماذا يريد الإنسان أكثر من السعادة الدائمة والانسجام مع من يعيش معهم؟ ويشير "واينى" إلى إحدى الأمهات التى حضرت إلى العلاج مع ابنها المريض وكانت تقول "إننا جميعا فى خير وسلام... إننى أحب السلام حتى ولو قتلت شخصا فى سبيل ذلك ... من الصعب العثور على طفل عادى وسعيد مثل ابنى (ابنها الذى فى العلاج)... إننى سعيدة ومسرورة... إننى سعيدة... ومسرورة بزوجى إننى سعيدة بحياتى... إننى سعيدة... أن عندى ٢٥ سنة من أسعد ما يمكن أن يعيشه الإنسان فى حياة زوجية سعيدة" (Wynne' et al 1958, 205).

وأحيانا ما ترتبط "أسطورة الأسرة السعيدة" بالوالد على وجه خاص، حيث يكفى أن يشعر هو بالسعادة فيكون الآخرون سعداء. وتشير "سيبرج" إلى إحدى الأسر تتضمن أسطورتها أن الوالد رجل سعيد. فبصرف النظر عما يحدث فإنه يرسم على شفتيه ابتسامة عريضة بلهاء، ويتفوه دائما بألفاظ متفائلة مرحة على الرغم من الحقيقة الواضحة أن الأمور فى الأسرة لا تسير على ما يرام، وذلك بسبب مشكلات الابن فى المدرسة، ولأن الأسرة ككل تعانى من مظاهر خلل عديدة. وتقول أنه بعد عدد قليل من جلسات علاج الأسرة أصبح من الواضح تماما أن هذه الأسرة لم تظهر أى ميل إلى مواجهة العديد من المشكلات التى تعترضها. وتحت القيادة المفروضة للوالد يقضون معظم وقتهم يبتسم كل منهم للآخر. ويبدون دائما مع المعالج بسلوك غير لفظى ولكنهم يجمعون عليه يقولون له من خلاله أنهم سعداء. وفيما بعد عندما أثار المعالج الأب وجعله يسقط هذه الابتسامة القناع من على وجهه فإن الأسرة كلها اندفعت لتدافع عن سعادة الوالد، ولم تعد الأسرة من ساعتها إلى العلاج (Sieburg, 1985 113 - 114).

ثانيا: التعمية

لقد كان كارل ماركس من أوائل المستخدمين لمصطلح التعمية أو التزييف mystification وكان يشير من خلاله إلى الأوضاع الاجتماعية السيئة فى رأيه، والمتمثلة فى الفوارق الكبيرة بين الطبقات واستغلال الطبقة العليا للطبقة الدنيا، أو رجال الأعمال للعمال. ثم استخدم «لينج» (Laing) المصطلح ليشير به إلى صورة من الصور المرضية للأسرة وتتضمن المراوغة evasion، والإنكار denail ولبس القناع masking. وفى معظم الحالات الأسرية يكون الآباء هم الطرف الذى يقوم بالاستغلال، بينما يكون الأبناء هم الطرف الذى يقع عليه الاستغلال.

وفى التعمية يعمد القائم بالاستغلال إلى خلط الأمور وأولها نسبة مشاعر معينة إلى شخص والإيعاز له بأن هذه المشاعر هى مشاعره الخاصة. فى الوقت الذى لم يشعر فيه الشخص بهذه المشاعر مطلقا. والتعمية بذلك تهدف إلى تغطية المشاعر الحقيقية من أجل تجنب الصراع الأصيل والحقيقى. وعلى الرغم من حدوث الخلط والتزييف فإن الشخص المعمى والذى زيفت مشاعره ربما لا يشعر بالخلط لأن العقل عادة - وفى إطار علاقته بوالده أو والدته ضمن أسطورة الأسرة - لا يتصور أن يكون موضع خداع واستغلال وأذية.

والتعمية ميكانزم تلجأ إليه الأنساق المغلقة ضمن ما تلجأ إليه من وسائل لتحافظ على كيانها وعلى توازنها وبقائها على الرغم من قدر اللاسواء الذى تتسم به علاقات أفراد النسق. ويستخدم النسق الأسرى التعمية عندما يبدأ أحد الأعضاء فى تهديد الوضع القائم عن طريق إحداث تغير ما. ويؤدى ميكانزم التعمية دوره فى الحفاظ على الأدوار الجامدة فى الأسرة ويجبر كل عضو على أن يعيش فى حدود الدور المحدد له.

وعندما يقال لشخص ما أنه سعيد فى الوقت الذى لا يشعر فيه بذلك، وعندما يضطر إلى التعبير عن مشاعر لا يشعر بها أو لا يخبرها، وعندما تختلف الخبرة الشخصية عما يقوله الآخرون عن هذه الخبرة، فإن هذا الشخص يكون مغمورا بالقلق والحيرة والتشوش، وقد تتضرر قدرته على اختبار الواقع بدقة، وبالتالى يعتمد على الآخرين فى وصف وتفسير الواقع المحيط به، ويقيم حياته على ما يراه الآخرون صوابا أو خطأ. ويستدخل الشخص مرض الأسرة وانحرافها، ويصبح جزءا من الحلقة النشطة العاملة فى اتجاه الحفاظ على بقاء النسق كما هو.

واتضح أن التعمية كأحد الأنماط اللاسوية من التفاعل عنصر أساسى وفاعل فى نشأة ونمو مرض الفصام، حيث لوحظ هذا النمط بوضوح فى معظم أسر الفصاميين.

ويذكر «لانج» أننا لم نرى بعد فصاميين، لم يحدث لهم عملية تعمية عالية قبل أن تظهر عليهم أعراض الانهيار الفعلي (Laing, 1965, 360).

ثالثا: المثلث غير السوى

في كثير من الحالات يسحب الثنائي المكون من الزوجين عندما لا يكون بينهما عاطفة صادقة وحقيقية (تبادلية مشاعر) أحد الأطفال ليكونا معه مثلثا. والمثلث غير السوي Perverse triangle يتكون عادة من أحد الوالدين مع الطفل (وقد يلعب جنس الطفل دورا في تكوين المثلث مع الأب أم مع الأم). والمثلث صورة من صور التفاعلات الخاطئة والتي تتمثل في تحالفات تتكون على النحو الآتي:

- الأطراف التي يضمها المثلث ليسوا كلهم أقران أو من جيل واحد، بل واحدا منهم فقط من جيل مختلف عن جيل الطرفين الآخرين.
- في عملية التفاعل يتحالف أحد الثنائي المنتمين إلى جيل واحد مع الطرف الثالث المنتمي إلى الجيل الثاني ضد رفيقه من نفس الجيل.
- إن التحالف بين الشخصين ضد الثالث يقابل بالإنكار. بمعنى أن السلوك المعين الدال على التحالف ينكر من جانب الثنائي المتحالف نفسه إذا ما أثار هذا السلوك شكوك الآخرين. وإذا عبرنا عن ذلك بلغة المصطلحات الاتصالية نقول أن السلوك الذي يدل عند مستوى معين على أن هناك تحالفا هو نفسه من زاوية السلوك أما وراء الاتصالي (metacommunicative behavior) يشير إلى أنه ليس هناك تحالفا.

ويشرح بوين Bowen وهو أحد أعلام علاج الأسرة حدوث المثلث ضمن نظريته في ديناميات الأسرة المولدة للمرض (والتي سنشير إليها في الفصل الثامن) كالآتي: عندما تصبح إحدى العلاقات الزوجية غير مستقرة، وعندما يشتد بينهما الخلاف والجدال ولا يستطيعان تسويته فإنهما يتجهان إلى طرف ثالث وهو الابن أو أحد الأبناء. ويستطيع الآن كل طرف أن يتوجه نحو الطفل بكل ما كان يريد أن يتوجه به نحو الطرف الآخر. ولاحظ بوين أنه كلما كانت درجة اندماج الأسرة عالية كانت درجة التحالف عند الوالدين أكبر، وبالتالي كان احتمال حدوث عملية التثليث أكبر أيضا. ويرى أن النسق الأسري يتضمن عادة عدة مثلثات، وغالبا ما تكون متداخلة في هذه الحالة. وتتحدد معالم هذه المثلثات (التي تمثل تحالفات) عندما يحدث التوتر بين أي عضوين من الأسرة (Bowen, 1994, 478).

والمثلث غير السوي سمة أساسية في الأسرة المولدة للمرض حسب ما شهد بذلك كثير من الباحثين والممارسين للإرشاد والعلاج النفسي. وقد ربط بعضهم بين هذا

المثلث والمفاهيم التحليلية النفسية وخاصة الصراع الأوديبى. وقد يتضمن المثلث والدا مع ابنه ضد الأم، أو تحالفا بين الابن وأمه ضد الأب، والصورة الأخيرة أكثر انتشارا أو شيوعا، بينما ترتبط الصورة الأولى (تحالف الأب مع الابن ضد الأم) مع زملة التصابى Peter pan syndrome(*). كما يقول كيلاى (Kiley, 1983). وتظهر هذه المثلثات كثيرا فى مشكلات الحموات Mother - in - law حيث يؤدى غياب الأب (أو زوج الأم) إلى تشكيل تحالف بين الأم وابنها ضد زوجة الابن.

ويمثل الطفل أضعف الحلقات فى المثلث ويكون مرتبطا بوالديه (Parentified) اللذين يكونان فى حالة صراع دائم، وعلى الطفل أن يتحمل الكثير من جراء هذه العلاقة المتوترة. بل إنه يتحمل من المسئوليات ما لا يقدر على تحمله. ففى الوقت الذى يسلك الآباء كالأطفال المتبلدين الأنانيين يكونان مطلوبا منه أن يتسامح مع كل طرف وأن يقدر ظروفه وأن يكون هو الطرف الناضج انفعاليا؛ ولذلك فإن هذا الطفل كثيرا ما يقع صريع المرض لإنهاك مصادره العاطفية على هذا النحو المستنزف.

رابعا: اتخاذ كبش الفداء

إن «اتخاذ كبش فداء» Scapegoating «هى العملية التى يزاح فيها الغضب والعدوان على شخص أو موضوع آخر عادة ما يكون أضعف أو أقل نفوذا، ولا يكون مسئولا عن إحباط الفرد. ويكمن المصدر الحقيقى للإحباط عند شخص ما أو جهة ما لا يستطيع الفرد أن يواجهها مباشرة، أو تتعلق بأوجه القصور أو الضعف السيكولوجية عند الغاضب أو العدوانى. وفى هذه الحالة الأخيرة ينشط ميكانزم «الإسقاط الدفاعى» (جابر، كفافى، ١٩٩٥، ٣٣٧٦).

وعملية اتخاذ كبش الفداء عملية قديمة جدا. وقد رصدها الأنثربولوجيون فى الشعوب والقبائل البدائية، حيث أوضحت ممارسات هؤلاء الناس أنهم فى حاجة إلى شخص يعتبرونه شريرا وجديرا بأن ينال اللعنة حتى تتجمع كل الشرور التى كانت تصيب القبيلة فى هذا الشخص. ومن هنا فإنه من أجل مصلحة المجتمع يمكن

(*) يشير مصطلح Peter Pan أو Peter Panism إلى معنى التصابى وادعاء صغر السن. وتتضمن هذه الزملة رفض الفرد حقيقة أنه يتقدم فى السن، ويعبر عن ذلك بوسائل وطرق مختلفة منها نسيان أو تجاهل أعياد الميلاد / وصبغ الشعر وإجراء الجراحات التجميلية والمحاولات المستمرة لإثبات الطاقة والقوة، والتأكيد اللفظى الدائم «إننى لست كبير السن». والمصطلح نسبة إلى شخصية روائية لصبى ظل محتفظا بصباه فى قصة أحد الأدباء الإنجليز (جابر، كفافى، ١٩٩٣، ٢٧٣١).

التضحية بفرد ومن أجل مصلحة النسق يمكن أن يضار أحد الأعضاء. وقد ظهر هذا الاتجاه واضحا في الأسر المضطربة، حيث تتضمن طفلا منحرفا أو جانحا. ونجد من الآباء والأخوة شبه إجماع على «فساد» هذا الطفل وعلى عدم إمكانية إصلاحه وتقويم سلوكه وكأنه ولد «فاسدا». ويؤدى هذا الطفل «الفاسد» بطبيعته خدمات هامة للوالدين الفاقدين للتفاهم، واللذين يعانيان من الصراع والتوتر المستمرين في علاقتهما.

وككل العمليات التفاعلية السابقة كالتي ظهرت في أسطورة الأسرة ومحاولة تجاهل الواقع والسير معصوبي العينين وراء فكرة جامدة مثبتة، ومثل المثلث غير السوى الذي يسحب معه أحد الأطفال ليكون ضحية تفاعل خاطئ بين الوالدين، ومثلما يحدث في التعمية حيث تزيف مشاعر الطفل، فإن اتخاذ الطفل ككبش فداء يصب في ذات الاتجاه فهو استغلال للطفل لصالح توترات الوالدين ولتوفير حل المشكلات الوالدية المستعصية، وإن كان حلا غير سوى. فعندما يصبح التوتر شديدا بين الوالدين ينبغي أن يحدث تفريغ لهذه المشاعر والانفعالات، ولما كان الوالدان لا يستطيعان التعبير عن مشاعرهما مباشرة كل منهما نحو الآخر؛ لأن هذا من شأنه أن يزيد التوتر بينهما ويلهب الصراع إلى الحد الذي قد لا يحتملانه، فإن وجود طفل يقدم «الحل» الذي يتمثل في توفر الهدف الذي تتجه إليه الانتقادات والمشاعر السلبية لكل والد نحو الوالد الآخر بعد أن يحولها أو يزيحها إلى هذا الهدف البديل. واتخاذ كبش الفداء من أكثر العمليات المرضية انتشارا وشيوعا في الأسر المضطربة؛ لأنه من أكثر الميكانزمات فائدة وصيانة للنسق الأسرى.

وعملية اختيار الطفل الذي سيكون كبش الفداء في الأسرة، تتم على نحو لا شعوري إلى حد كبير. ولكن يبدو أنها تعتمد على خصائص معينة للطفل تميزه عن غيره كطفل مختلف. وهذا الاختلاف ليس عشوائيا لكن له معاني رمزية ترتبط مع «المصدر الحقيقي» للتوترات في الأسرة. فإذا ما تضمن الصراع غير المعلن عنه بين الوالدين نقص نجاح الزوج، فإن الطفل الذي يكون متدنيا في تحصيله الدراسي هو الذي يكون مرشحا لدور كبش الفداء، بسبب أنه يرمز إلى الفشل – ومن هنا فإن نقد الأم لطفلها على الأرجح يعبر عن عدم رضائها عن حال زوجها الاقتصادية أو المهنية.

وكما رأينا سابقا فربما كان جنس الطفل أو ترتيبه الولادي عاملا مهما في اختياره ككبش فداء للأسرة. وإذا كان أحد الزوجين أو كلاهما لديه خبرات غير سارة في أسرهم الأصلية مع الأخوة أثناء الطفولة فإن كبش الفداء في الأسرة يحتمل أن يكون

أحد أبنائها الذكور. وإذا كانت مشكلاتهما مع شقيق أكبر فإن كبش فدائهما يكون ابنهما الأكبر. بالإضافة إلى أن وجود بعض جوانب النقص أو العيوب فى الطفل قد يرشحه لهذا الدور، فالطفل منخفض الذكاء أو صاحب المرض الجسمى أو صاحب العاهة، أو الذى لديه انقيادية وسلبية وخضوع وقابلية للانسحاب وعدم الرد، أو أى ملمح آخر غير جذاب، عرضه لأن تتخذه الأسرة ككبش فداء. ولكن فى كل الحالات تقريبًا يكون لدى الطفل استعداد للقيام بهذا الدور، فإذا كانت الأسرة ترشحه و تختاره للقيام بالدور فإنه يستجيب ويستمر فى القيام بسلوك الدور.

وما أن يتم اختيار الطفل لدور كبش الفداء وتصله هذه الإشارات فإنه يتحمل دوره «كطفل مشكل» لكى يستمر فى أداء الوظيفة. أن الديناميات وراء لعب هذا الدور بسيطة وواضحة، أن الطفل يتدرب على أن يكون حساسًا للتوترات الناشئة فى النسق الأسرى، وعليه أن يجذب الانتباه إليه بسلوك معين يجعل الجميع يحول انتباههم إليه، وقد يؤنبوه أو يعاقبوه، وبهذا ينخفض التوتر الأصلى فى النسق ويعود إلى حالة الاتزان. ويستمر الطفل في القيام بالدور لأنه يحصل على تدعيمات لذلك. وعلى بقية أفراد النسق أن يستمروا فى دعم سلوك الطفل لأنه ينجح فى تخليصهم من المواقف عندما تتأزم إلى درجة كبيرة.

والطفل الذى يقبل بالقيام بدور كبش الفداء يستدخل توقعات والديه، ويستمر فى الاستجابة إلى الحاجات الوالدية بشكل شعورى أو بشكل لا شعورى. ومن هنا فإن الطفل المدزق سوف يستمر ممزقا مادام سلوكه يجد التدعيم، والطفل المضطرب سوف يبقى مضطربا لنفس السبب، وما دام دوره أساسيًا فى الحفاظ على التوازن وفى استعادته إذا ما اهتز.

ومن الديناميات وراء وظيفة كبش الفداء أن أفراد النسق الأسرى جميعا يعطون موافقتهم على أن يحقق هذا الطفل الرغبات اللاشعورية للأعضاء، وهذا يسمح بتفعيل Acting out أو إخراج توترات الأسرة ورغباتها اللاشعورية والتعبير عنها مهما كانت متطرفة، ويتحمل الطفل كبش الفداء العبء الأكبر لكل أخطاء الأسرة، ويظل يدفع ثمن التفاعلات الشاذة والمنحرفة لفترة طويلة. وهذا الدور يجعل أفراد النسق الآخرين خاليّ البال تماما من محاسبة أنفسهم وتقويم سلوكهم، وتبين ما عساه أن يكونوا قد أخطأوا فيه، لأن سبب الخطأ واضح وجاهز وسبب المشكلات والأزمات ماثل أمام الجميع ولا ينكر مسئوليته.

إن من الطبيعي أن يشعر الآباء ببعض الميل نحو طفل أكثر من آخر لأسباب عديدة، ولكن هذا الأمر في النسق الأسري المتفتح ليس فيه خطر شديد؛ لأن كل الأمور تناقش، وليس هناك تحيزات لا شعورية أو مواقف انفعالية حادة مسبقة. أما في النسق الأسري المغلق فإن التمييز بين الأبناء حتى لو كان طفيفا فإنه يكون مستمرا وبلا تبرير ويعكس تحيزات غير معقولة ويتصف بالجمود والآلية والثبات. وفي ظل غياب أية تأثيرات تصحيحية لانغلاق النسق فإنه سيكون سيئ العاقبة.

ودور كبش الفداء لا يمارس منعزلا، ولكنه جزء من نسق متشابك من الأدوار فهناك المهاجم Attacker وهناك الضحية Victim (وهو القائم بدور كبش الفداء) وهناك المعالج أو الشافي Healer، وهي أدوار ليس من الضروري أن تمارس كلها في وقت واحد من قبل أعضاء معينين (Ackerman, 1967, 52). كما أن الأسر التي تفتقر إلى قواعد واضحة وثابتة يندر أن يحدث فيها دور كبش الفداء؛ لأن القيام بهذا الدور يتطلب قدرا من التماسك لتنمية قواعد أسرية معقولة وهي التي من شأنها أن تدعم دور كبش الفداء.

ونكرر ما سبق أن ذكرناه من أن كبش الفداء ليس ضحية بريئة بالكامل للأسرة، فإنه يلعب دورا أو يتحمل جزءا من المسئولية في اختياره لهذا الدور، فضلا عن قبوله واستمراره فيه. وينبغي أن تتجه البحوث للكشف عن خصائص سمات الشخصية التي ترتبط أكثر من غيرها بقبول هذا الدور والنجاح فيه.

خامسا: بعض العمليات المرضية الأخرى

وقد أشار "ليدز" (Lidz, 1960) إلى بعض العمليات المرضية الأخرى التي تحدث في أسر المرضى وتميزها عن غيرها من الأسر، مثل:

١ ـ الانقسامات في الأسرة:

وتعني الانقسامات في الأسرة وجود تكتلات أو مجموعات داخلها، فالأب قد يأخذ إلى جانبه بعض الأبناء، وكذلك قد تفعل الأم، أو أن يتجمع أحد الوالدين في الاستحواذ على عاطفة واهتمام الأبناء جميعا في صراعه مع الوالد الآخر، كأن الأسرة ساحة صراع وليست واحة سلام. وتحدث عملية الصراع في معظمها على المستوى اللاشعوري وإن كانت تبدو علنية وشعورية في بعض المواقف.

٢ ــ الانحرافات فى الأسرة:

ويتوافر الانحراف إذا كان الوالد أو أحد الأخوة له عادات خلقية أو ممارسات لا يرضى عنها المجتمع. فمن شأن ذلك أن يصم الأسرة كلها بالسوء واللاأخلاقية، ويؤثر فى نظرة المجتمع إليها. وينعكس ذلك على أفراد الأسرة ومفهومهم عن ذواتهم، وقد يؤدى إلى عزلة الأسرة.

٣ ــ العزلة الاجتماعية والثقافية للأسرة:

وإذا دمغت الأسرة بسمعة سلبية أو عرف عنها بعض العادات والممارسات غير الطيبة فإن الأسر الأخرى تبتعد عنها، كما أنها تبتعد عن الأسر الأخرى أيضا، مما يجعل أفرادها يشعرون بالعزلة. ومما لا شك فيه أن شعور الأسرة بالعزلة يعمل على تفاقم ونمو العمليات المرضية، ومن احتمال تنشئة الأسرة لأطفال مضطربين.

٤ ــ الفشل فى تعليم الأبناء وتسهيل تحررهم من الأسرة:

وبعض الأسر تتشبث بأبنائها وتطيل فترة اعتمادهم عليها. ويعود هذا السلوك من جانب الأسرة إلى عدم نضج الوالدين أنفسهما. ويعمل هذا الموقف على تثبيت وتدعيم السمات الطفلية عند الأبناء. وبذلك فإن حاجة الآباء إلى ابتزاز أبنائهم عاطفيا تكون على حساب تحررهم من الروابط الأسرية، وعلى حساب استقلاليتهم فى العمل والتفكير، وعلى حساب نضج شخصياتهم.

٥ ــ إعاقة التنميط الجنسى والهوية الجنسية:

ومن الأساليب الخاطئة فى التنشئة، والتى تعود إلى باثولوجية الآباء أنفسهم فى معظم الحالات الفشل فى تعليم الأبناء، والممارسات وأساليب السلوك المناسبة لكل جنس كما حددتها الثقافة. وهى ما تسمى «بعملية التنميط الجنسى» (Sex typing process) أو «الهوية الجنسية» (Sexual identity). ومما لا شك فيه أن عدم تعلم الطفل للسلوك المناسب لجنسه يسبب له كثيرا من المتاعب، ويمكن أن يعوق توافقه السليم فى البيئة، خاصة وأن معظم المجتمعات لا تتهاون إزاء الخلط فى الأدوار الجنسية.

سادسا: القيم الشخصية المنحرفة والزملات المرتبطة بها:

وقد تحدث «شولمان» (Shulman 1968) عما أسماه «القيم الشخصية المنحرفة» (Deviant Personal Values) وعن دورها فى نشأة المرض ونموه. وهى قيم تتكون فى أحضان الأسرة وفى ضوء تنشئتها لأبنائها. ولذا فقد كان «شولمان» يعتقد أن المريض يصنع ولا يولد، وأن هذه الصناعة تبدأ فى الطفولة فى كنف الأسرة. وقد انتهى شولمان

من دراسة طفولة مرضاه إلى نظرية في الوجود الفصامي مختلفة عن أي نظرية تكوينية أو وراثية، بدون أن تقدم معطيات تتعارض مع ما تقدمه هذه النظريات.

ويرى شوفان أن هناك عاملا وسيطا بين التنشئة الوالدية والاضطرابات النفسية عند الأبناء، بمعنى أنه عـامل يترتب علـى التنشئة ويمهد بدوره لاضطرابات الأبناء، وهـو ما أسماه القيم الشخصية.

وهذه القيم أو القناعات الشخصية يكونها الفرد بنفسه خلال معيشته في رعاية والديه، وفي ظل تنشئتهما له، وفي سياق تعليمهما له كيف يستجيب في المواقف المختلفة. وهذه القيم إذا كانت سوية أو صحية فإنها تساعد الفرد على أن يتوافق مع بيئته ويسلك سلوكا سويا. أما إذا كانت غير سوية أو منحرفة أو لا اجتماعية فإنها تكون عاملا من عوامل الاضطراب النفسي.

ويحدد «شوفان» مجموعة من الأنماط السلوكية الخاطئة – الناشئة عن القيم الشخصية المنحرفة – والتي تنتج بدورها عن التربية الخاطئة في الأسرة. وتؤدي هذه الأنماط بالطفل إلى سوء التوافق، ثم إلى المرض في المستقبل. ومن هـذه الأنماط تنشأ الزملات الآتية عند الأطفال:

- زملة الطفل المتميز:

وتحدث «زملة الطفل المتميز» (The special child syndrome) كنتيجة لسلوك الوالدين، أو لطبيعة الجو الأسري الذي ينمي لدى الطفل الاعتقاد بأنه يختلف أو يتميز بدرجة ما عن أقرانه. وربما كان هذا الاختلاف يشير إلى أنه أكثر طيبة من الآخرين، أو أكثر شرا منهم. والمهم أن الطفل يشعر ويسلك بطريقة مختلفة عما يشعر به الآخرون. ولا يظهر الطفل أي رغبة في التخلص من هذا الاختلاف، وفي أن يسلك مثل أقرانه، بل إنه يرحب بهذا التميز، ويجعله فضيلة يتمسك بها.

- زملة الطفل النزاع إلى السيطرة:

والطفل النزاع إلى السيطرة The Bossy Child Syndrome يتعلم من والده السيطرة والتسلط، ويصطنع لذلك الأزمات العاطفية وألوان السلوك الابتزازي ليجبر والديه، وخاصة والدته على أن تسلك معه سلوكا خاصا. ويصعب جدا معاملة هذا الطفل على أساس الند للند، حيث إنها تتطلب درجة كبيرة من الأخذ والعطاء، في

دون أن ما يشغل بال هذا الطفل فى أى موقف، أو فى أى علاقة هو لن تكون الغلبة فى النهاية؟ وعندما تقابله فى حياته مواقف ضاغطة فإنه يلجأ إلى الأعراض العصابية بصورها الاندفاعية والانسحابية.

- زملة الطفل القاصر

ومن ينطبق عليه زملة الطفل القاصر The Inadequate Child Syndrome هو طفل سيئ التوافق، ويشعر بالقصور معظم الوقت، وفى كل المواقف تقريباً. وهو قد تعود على الإحباط والفشل، لأنه يلقى مواقف غير مشجعة فى الأسرة. ويصبح مع الوقت أكثر اقتناعاً بأنه لن يستطيع أن يفعل ما هو مطلوب منه. ويفقد الثقة فى نفسه وقد ينسحب إلى عالم ضيق ومحدود ويتخلى عن اهتماماته مفضلاً الأساليب الهروبية.

- الطفل الذى يريد أن يصبح هاماً ليرضى الآخرين

(The Child Who has to Become Important to Satisfy Others)

وهذه الزملة لا تختلف عن التفاعلات اللاسوية السابقة كلها. بل إن هذه الزملة تضم الطفل كبش الفداء، والطفل الضلع فى المثلث غير السوى، والطفل المضحى، والطفل ضحية أسطورة الأسرة؛ لأن شولان يحدده بأنه الطفل الذى غالباً ما يستغل من جانب الوالدين لكى يحقق لهما بعض الأهداف الخاصة مثل:

- أن يخفف شعور الوالدين بالوحدة.
- أن يصلح علاقات زواجية غير سعيدة وتوشك على الانهيار.
- أن يحقق رغبات الوالدين فى المركز الاجتماعى.
- أن يستخدم كوسيلة لإشباع حاجة الوالدين إلى القوة والسيطرة.
- أن يستخدم كوسيلة لإشباع حاجة الوالدين إلى الضبط الخارجى والتوجيه.

القسم الثالث

الاتصال الخاطئ

فى الأسرة المولدة للمرض

وعندما تفشل الأسرة فى توفير المناخ الذى يساعد على تعلم أفرادها كيف يحققون التوازن بين الحاجات الاتصالية بالآخرين والحاجات الاستقلالية عنهم فإن الباب يكون مفتوحاً لمختلف صور الاتصال الخاطئ، والذى ينتهى باضطراب جو الأسرة وتحويلها لبؤرة مولدة للاضطراب، بل وإصابة بعض أفرادها بالاضطراب الواضح الصريح.